المحور الأول: نظريات ومفاهيم علم الاجتماع المخاطر.

- **نظريات علم الاجتماع المخاطر (أولريش بيك، أنتوني غدنز، إلياس نوبرت):**

المحاضرة الثانية: أولريش بيكUlrich Beck:

لقد عرف أولريش بيك في البداية من خلال أطروحته حول مجتمع المخاطر. حيث يرى بيك أن هناك انقطاعا أساسيا داخل التاريخ الاجتماعي للحداثة، وهو انقطاع ميزه انحلال الصيغ الأقدم للمجتمع الصناعي ونمو مجتمع مخاطر جديد، ويرى بيك أن الأجيال السابقة في المجتمعات الصناعية، كانت غير مبصرة بالأضرار البيئية التي يسببها التصنيع، وهكذا بدا الوعي الاجتماعي بالأضرار الصناعية الواسعة النطاق في فرض تأثير كبير في المواقف الثقافية للأفراد، والسلوكيات الاجتماعية في مجتمع المخاطر الناشئ، ويبدو هذا جليا بشكل خاص في العلاقة بالملوثات الكيميائية والتكنولوجيا النووية، والهندسة الجينية. حيث ينتج وعي المخاطر الجديد من تصور تدعمه وسائل الاعلام، التي تجعلنا نعيش في فترة زمنية تكون فيها أعباء التصنيع البيئية آخذة في تجاوز المكاسب الاجتماعية، إن الأطر المرجعية التي تشكل مقاربة بيك في التعامل مع النظرية الاجتماعية، وكذا مصطلحاته في التحليل السياسي متجذرة في الاعتقاد أنه لم يبصر أفراد المجتمع الصناعي مخاطر التحديث، فإن سكان مجتمع المخاطر يجب أن يتفهموا مع مستقبل محتمل حيث تلوح الابادة الذاتية فوق الأفق الثقافي .

ليؤكد بيك أن مجتمع المخاطر، يشمل كذلك سلسلة من التغيرات المترابطة المتداخلة في حياتنا الاجتماعية المعاصرة، والاستخدام، تزايد الإحساس بانعدام الأمن الوظيفي، واحصار أثر العادات والديمقراطية في العلاقات الشخصية، ولأن مستقبل الأفراد الشخصي لم يعد مستقرا وثابتا نسبيا كما كان في المجتمعات التقليدية، فإن القرارات مهما كان نوعها واتجاهها، أصبحت الآن تنطوي على واحد أو أكثر من

عناصر المخاطر بالنسبة إلى الأفراد. كما أن المخاطر نكتنف، وإن إلى حد أقل خيارات وقرارات أخرى تتصل بالمؤهلات التربوية والتعليمية، وبالمسارات الوظيفية والمهنية حيث إن من الصعب التكهن بطبيعة المهارات والخبرات العملية في مجالات الاقتصاد المقبلة المتغيرة على الدوام، ويرى اريش بيك أن جانبا مهما من مجتمع المخاطر يتمثل في أن الاخطار تنتشر وتبرز بصرف النظر عن الاعتبارات المكانية والزمانية والاجتماعية. إن مخاطر اليوم تؤثر في جميع البلدان والطبقات الاجتماعية، وتكون لها آثار شخصية وعالمية في الوقت نفسه، إن كثيرا من الاخطار المصنعة، ولا سيما في ميادين الصحة والبيئة، تتجاوز حدود البلدان وتتعدى النطاق القومي.

وكما يقف أولريش بيك، موقف المعارضة والرفض إزاء الاتجاهات ما بعد الحداثة. إننا لا نعيش في عالم ما بعد الحديث، بل إننا نتحرك الان الى مرحلة يمكن أن نسميها الحداثة الثانية التي تعولمت فيها المؤسسات الحديثة فيما انفلتت فيها حياتنا اليومية من قبضة التقاليد والعادات. لقد بدأ المجتمع الصناعي القديم بالاندثار، مفسحا الطريق ليحل مكامنه مجتمع المخاطرة. وما يطلق عليه منظرو ما بعد الحداثة مصطلح عالم الفوضى إنما يمثل غياب أنماط الحياة المستقرة ومعايير السلوك الارشادية؟ إننا على ما يرى بيك، نعيش عالم المخاطرة وعدم اليقين. وقد تفاقمت المخاطر بالثورات المتجددة في مجال التقانة. ومع الإقرار بنواحي التقم والتحسس الهائلة التي تحققت في المجتمعات الحديثة، فإنه لا يمكننا أن نغفل عن الآثار المدمرة التي المحتملة لهذا التطور التقني، سواء في المجالات النووية أو في انتاج المحاصيل المعدلة جينيا.

ولا يعتقد أريش بيك أن المجتمعات الحديثة تواجه قدرا من المخاطر يزيد على ما صادفته المجتمعات التقليدية او القديمة. غير أن المخاطر تختلف في أسبابها واصولها وطبيعتها، فالطبيعة كانت الصدر الرئيسي للمخاطر التي تعرض لها المجتمع في الماضي. أما المخاطر التي تتعرض لها المجتمعات الحديثة،

فإنها تعود إلى أنماط التنمية الاجتماعية، وإلى المراحل المتقدمة التي بلغها التطور العلمي والتقني. ويعتقد بيك أن مسؤولية إدارة تلك المخاطر يجب ألا تترك للسياسيين والعلماء فحسب، بل ينبغي أن تسهم فيها جماعات المواطنين بدور رئيسي. ويشترك بيك مع هابرماسHabermasبدعوة المجتمعات والحركات الاجتماعية الى الضغط والتأثير على الآليات السياسية التقاليدية، ولا سيما في المجالات المتعلقة بحقوق الانسان، والمحافظة على البيئة، والدفاع عن مصالح المستهلكين

ونتيجة لهذه الأوضاع الجديدة، يرى بيك ضرورة مراجعة للغة العلوم الاجتماعية، حتى يتم التمكن من ابتكار مفاهيم أكثر ملاءمة، لإدراك واقع العالم الذي نجد فيه أنفسنا حاليا، كما يرى أن العديد من مفاهيم علم الاجتماع الراسخة مثل الطبقة الاجتماعية، وأدوار النوع، والدولة القومية، أصبحت حاليا مفاهيم قديمة، و بالفعل فإنه يتمسك برؤية وصولنا الى مرحلة في تقدمنا الاجتماعي، تم خلالها تطوير ما يعرف باسم الاطر الكلاسيكية لتحليل علم الاجتماع، على يد كتاب أمثال ماكس فيبر وإميل دوركهايم Max Weber and Emile Durkheim... الذين لم يعودوا يمدوننا بأي رؤى مميزة حول التحولات الرئيسية، التي تشكل البناء ككل ونوعية حياتنا في المجتمعات المعاصرة، وبناء على ذلك قد ينظر الى كتاباته بوصفها محاولة لتزويد علم الاجتماع بنظريات عن المجتمع، تتوافق بصورة أكبر مع الحساسيات الثقافية المعاصرة . حيث يعتمد أولريش بيك في نظريته على ثلاث منظورات وهي:

-**العولمة:** حيث عملت على عولمة المخاطر و الأخطار، و تجسيد اللحظة الكوزموبوليتانيةCosmopolitanism(اللاقومية) ، مع تراجع الدولة القومية، فبات ضروريا أن يتم فهم المخاطر في سياق عالمي، و هو ما يسميه بـ الكوزموبوليتانية المنهجية، بعدما كانت تفهم في سياق قومي داخلي القومية المنهجية.

-**التصوير و الإخراج:** و هو يعني أن المخاطرة والتي هي أمر كارثي متوقع و متنبأ به، يتم إخراجه و تصويره بوصفه توقعا ذا مصداقية ما يكسبه الصفة الحقيقية، فيشكل صورة نمطية ذهنية في عقول الناس بأن الكارثة حاضرة بينهم ، أي أن مستقبل الكارثة حاضرا ، الأمر الذي يهدف غالبا إلى منعها و تفاديها. والتصوير السينمائي للمخاطرة لا يعني تزوير الحقيقة من خلال تزوير مخاطر غير حقيقية، وإنما هو عرض سياسي إعلامي للجمهور وللعالم حتى يدركوا مستقبل المخاطرة، ومنه يتم تفادي الوقوع في الكارثة من خلال التأثير على القرارات الحالية، وحسن إدارة الوضع والتحكم فيه.

-**المقارنة بين المخاطر البيئية و الاقتصادية و الإرهابية:** بحيث أن بيك انطلق في تحليله من ثلاث منطقيات للمخاطر الكونية و هي: مخاطر بيئية – مخاطر اقتصادية مالية – مخاطر الإرهاب. فاعتبر أن المخاطر البيئية والاقتصادية تأتي صدفة أي عن حسن نية، أما مخاطر الإرهاب فهي مقصودة أي عن سوء نية. ويربط بيك كل هذه المخاطر بثقافة المجتمع الناشئة فيه وفق ما أسماه بـ " الإدراك الثقافي للمخاطرة "، وهو أن كل مجتمع له تقييمه الخاص لمستوى المخاطرة ودرجتها، وكلما قلت إمكانية تقدير الخطر اكتسب الإدراك الثقافي المتنوع للمخاطرة ثقلا أكبر.

و تتنوع المخاطر و الأخطار التي يعكف علم اجتماع المخاطر على دراستها، لتشمل مخاطر الدمار البيئي مثل تلوث الهواء و البحار، الغازات الدفيئة و الاحتباس الحراري و ثقب الأوزون ، و الأمطار الحمضية و الزراعة الوراثية، و تناقص الثروات الباطنية و المياه الجوفية، تقلص المساحات الغابية و الثروة السمكية ...الخ إضافة الى مخاطر التجارب النووية، و تخصيب اليورانيوم، و أسلحة الدمار الشامل، و الحروب الكيماوية، و الأوبئة الفتاكة مثل انفلونزا الخنازير و الطيور، و جنون البقر، و الإيدز، والاستنساخ و الانتقاء الجيني، و مختلف التكنولوجيا الحيوية ، كما أن هناك مخاطر متعلقة بالأمن القومي و العالمي، مثل التطرف الايديولوجي و الإرهاب الدولي، والنزاعات الاثنية بين الطوائف و الاقليات، والصراع العرقي

و الجندري، إضافة الى تهجين الهويات، النزعة الفردانية، و انقطاع الرباط الاجتماعي، و المشكلات الاقتصادية، مثل الأزمات المالية العالمية، أزمات البترول و غيرها من المخاطر التي شهدها العالم مؤخرا، والتي أثرت لا محالة على المجتمع الإنساني أفراد وجماعات، حيث تراكمت و اتسعت إلى أن طفت على السطح، منذرة بمستقبل كارثي يهدد أمن العالم دون استثناء .

وتناولت مؤلفات بيك بنوع من الاسهاب، ارساء فكرة الخطر مفهوما رئيسا للتحليل القائم على علم الاجتماع، واستخدم هذا المفهوم ليبدأ في خوض مجموعة متنوعة من السجالات النقديةحول الطبيعة الأساسية للمجتمع، والثقافة، والسياسة المعاصرة. ويستخدم تركيز بك على الخطر في تقديم رؤية متسعة للحياة الاجتماعية، حيث يمر الأفراد فيها وبصورة متزايدة بشعور واضح بعدم الأمن بخصوص الشؤون اليومية للحب والعمل، كما يستخدم هذا التركيز في جذب اهتمام علم الاجتماع لتناول مشكلات الأخطار البيئية، وبينما يرى بيك أن وعي الناس بالأخطار يرتبط بمعرفتهم بالتهديدات المحيطة بالبيئة، فإنه يحدد أيضا المدى الذي قد ينجم فيه الوعي بالخطر، عن تجربة أنماط التوظيف والتحول المرنة في الحياة الاسرية، ويقدم بك – بجانب كتاب مثل أنتوني غدنزوباومانAnd Baumann مقولة مجتمع المخاطر، باعتبارها طريقا سريعا عالميا للتغير الاجتماعي السريع، وهو عالم يكون فيه الأفراد مجبرين باستمرار علي التفاوض حول البنود الأساسية لهويتهم الذاتية، والمعنى الثقافي والانتماء الاجتماعي، ويؤكد ان الناس عليهم التفكير – أكثر من ذي قبل – بصدد حياتهم من خلال احتساب المخاطر.

ويمثل "الوعي بالخطر" حساسية ثقافية متجذرة في عمليات الفردنةIndividualization والتحديث dernizationReflexive Mo، وتجد غالبية الناس الآن أن الترتيبات الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة، لا توفر الوقت أو المتسع للأنماط التقليدية من العمل والحياة الأسرية، ونتيجة ذلك فإن الأفراد يجبرون بشكل متزايد على القيام باختيارات مضطربة، حول كيفية عيشهم حياتهم، وقيل إن مثل هذه العملية المعقدة

من الفردنة هي مصدر واستجابة لعملية تحديث انعكاسي إضافية. وذلك على اعتبار أن الحداثة الانعكاسية هي مواجه المجتمع الصناعي مع نفسه من خلال نموذج المخاطر، كما يعرفها أولريش بيك، فالانعكاسية هي نوع من الصراع يسهم في هيكلة النقد المعاصر للحداثة، ويحدد معالم حداثة أخرى. ويعرفها في تحليلاته السوسيولوجية بأنها توزيع ذاتي ومشكلة ذاتية للمجتمع الصناع في حد ذاته

الأمر الذي يقتضي على الأفراد أن يدخلوا في سجالات نقدية أوسع نطاقا، حول التنظيم السياسي والنماذج الراسخة للتقدم الاجتماعي، كما أنه عليهم أن ينظروا برؤية نقدية إلى قيمة وهدف حياتهم، وبناء على ذلك فإنه يمكن أن ينتج التفكير النقدي من نمو المعرفة المعلقة بالتهديد بكارثة بيئية، ترتبط ثقافة مثل هذا التفكير في الوقت نفسه بالظروف الاجتماعية اليومية لحال عدم الأمن الواضحة.

وفي التحليل النهائي إن قدرا كبيرا من شروح بيك القائمة على الاجتماع، هو إيثار المزيد من النقاش حول الامكانات التي توجد داخل مجتمع المخاطر من أجل التغير الاجتماعي الراديكالي، وهناك تأصيل قوي لعمله هذا، إذا أوضح اهتمامه بتطوير حداثة راديكالية جديدة موجهة بمثل التنوير البيئي. وانطلاقا من اقتناعه بأن عملية التصنيع الغربي جعلتنا على شفا كارثة بيئية عالمية، فإن شعورا بالخطورة يميز بحثه من أي تطورات تدل على نجاح المجتمع بضرورة أن يصلح نفسه (وبخاصة في استخدامه للتكنولوجيا والعلوم)، وكذا ضرورة أن يضمن بقاء كوكبنا. وبينما يمكن الاعتراف بعنصر اليوتوبياUtopiaداخل نظريته الاجتماعية، وهي التي أزيلت تماما من النماذج الماركسية المثالية، التي الهمت الأجيال الأولى من واضعي النظريات القديمة، وبينما كان يبحث عن تطوير وجهة نظر كوزموبوليتيةجديدة حول السياسة والقانون الدوليين، فإنه أكد أن أفضل أمالنا بالنسبة إلى المستقبل تقوم على إمكان زيادة مشاركة المجتمع الدولي، متمثلا في المنظمات غير الحكومية داخل القرارات السياسية الرئيسية المواجهة للمجتمع العالمي، وفي هذا الصدد فإن بذور التغير الاجتماعي الراديكالي بذرت فعلا على يد منظمات مثل السلام الاخضر وجينووتش،

و أوكسفام، And Genouch, and Oxfamومنظمة العفو الدولية، وبقدر شدة مخاوفنا المشتركة على المستقبل، فإن الفرص يمكن أن تزيد أمام هذه البذور كي تنبت وتزدهر.

ويحيط الكثير من أوجه الجدل بأعمال بيك، أولها بعض الاعتراضات على الواقعية القوية التي تغلف وصفه للأخطار البيئية، وبخاصة فشله في تناول التركيب التحليلي للنقاشات القائمة على علم الاجتماع حاليا، بخصوص البناء الاجتماعي لفهمنا الثقافي للخطر، ثانيها أن الدراسات العملية لتصور الخطر توصلت إلى شواهد قليلة للغاية لدعم التمثيل المفضل لبيك للطرق التي يؤهل فيها الأفراد للخبرة ومعرفة المخاطر المحتملة بالنسبة اليهم والى الآخرين، وآخر أوجه الجدل هنا، هو أن البعض يعيب عليه أنه يتناول القضية بطريقة السرد التاريخ الذي يؤطر سرده لجدة مجتمع المخاطر، ويدفعه كل ما سبق وغيره إلى التأكيد أن نظرية علم الاجتماع الكلاسيكية ليست لها قيمة في فهم التطورات الاجتماعية المعاصرة، ومع هذا فإنه ليس هناك شك في واقع أن أعماله معترف بها حاليا على نطاق في ما يخص مهمة التنظير للعالم، إن أولريش بيك مثال رئيس لعالم الاجتماع الذي يمثل روح العصر، وبينما قد يتبنى غالبية الشارحين موقنا نقديا عريضا تجاه مقولات فرضياته المحورية، فإنه من الواضح تماما أنهم ينظرون اليه على نطاق واسع بوصفه ذا قدرة كبيرة بالنسبة إلى منظري علم الاجتماع على الخوض في مهمة التفكير في المجتمع من جديد .